

التعبئة العسكرية عند المسلمين من خلال
كتاب مختصر سياسة الحروب للهرثمي والتذكرة الهروية للهروي
Military mobilization in Islam From
Brief book of war politics for Al Harthami and the book of el
Harawi"altadhkira"

فاطمة الزهراء مالكي^{*1}

¹ جامعة حسبية بن بوعلي (الشلف)، malk.hist16@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/12/28

تاريخ القبول: 2022/11/26

تاريخ الاستلام: 2022/07/21

ملخص:

البحث عبارة عن دراسة للتعبئة العسكرية الإسلامية من خلال مقارنة ما ورد في مصدرين عسكريين هامين، وهما كتاب مختصر سياسة الحروب للهرثمي، وكتاب الحيل الهروية للهروي، الهدف من البحث المقارنة بين المصدرين، لما فهمنا من حيل وتحذيرات وتعليمات عسكرية، وأيضا لما فهمنا من أمور هامة تتعلق بالتعبئة الحربية، وأمور تخص القتال، وشخصية الرئيس أو القائد. من نتائج البحث أن الهروي رغم أن عصره كان بعد عصر الهرثمي إلا أنه، اعتمد على خلاصة فكره، ولم يأخذ شيئا عن السابقين، واعتمد في كتابه على الجانبين السياسي ثم العسكري، ولم يفصل في التعبئة العسكرية، إذ اقتصر على أمور فإن كتابه كان شاملا، وقد اهتم كثيرا بالحديث عن التعبئة العسكرية بكل جوانبها قبل وبعد اللقاء من خلال آراء من جربوا الحرب. ونجد هناك أموراً عسكرية اتفقوا فيها .

كلمات مفتاحية: تعبئة عسكرية، الهرثمي، الهروي، حرب، قائد .

Abstract:

Research is a comparison between two important books. Title of the first book: War tactics in short rules. And the second book is entitled: Harawi's Tricks for war. The two books are important in military research, Because in each of them information about the fighting, command and tactics of war, And advices. From the comparison, the authors agreed on

military warning and some advices; And agreed also about the important of fighting fortresses and siege tools.

And the difference between them is :that Al Harawi wrote about politics first and then the military, And he spoke a lot in his book of advice and tricks, but Al Herthami wrote a lot about tactics war of all kinds, As Tactic walk / Sleep tactic / Fear tactic.

Key words : Mobilization/Tactics/ Al Harawi/ Al Herthami/war/ command.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

للمصادر أهمية كبيرة في التاريخ وفي شتى أقسام وأنواع المعرفة العلمية، بسبب المادة الأولية التي تحتوي عليها طيات هاته الكتب، ومن المصادر الهامة إلى غاية يومنا هذا الكتب المتعلقة بالجانب العسكري سواء التي تخص التاريخ العام، أو الكتب المتخصصة، وكل هذه الكتب، إلى جانب الخبرات السابقة في الحروب و التي يقدمها التاريخ تُنتج وتُشكل العقيدة العسكرية العامة، التي يمكن الاستفادة منها على مر العصور، فالعقيدة والمبادئ العسكرية ليست وليدة اللحظة، أو العصر الحديث كما يظن البعض، بل هي نتاج تقدم فكري، ناتج هو الآخر عن الحاجة إلى تخطيط وتنظيم حربي، بسبب وجود الحروب التي لا مفر منها ولا مهرب وما المصادر العسكرية إلا ناقل لهذه الخبرات.

ومن المصادر المختلفة اخترت مصدرين مهمين أيضا، وهما كتاب مختصر سياسة الحروب للهرثمي، وكتاب التذكرة الهروية في الحيل الحربية للهروي، ولذلك عنونت البحث ب: "التعبئة العسكرية في الإسلام من خلال كتابي مختصر سياسة الحروب للهرثمي(ق3هـ) والتذكرة الهروية للهروي(ت611هـ) كنموذجي دراسة" وذلك رغبة مني في معرفة ما مدى التشابه الكبير بين المصدرين؟ وكيف تناول المصدران موضوع التعبئة العسكرية؟ بالمقارنة مع مصادر أخرى.

أهدف من الدراسة إلى التعريف بالمصدرين والمؤلفين لكونهما هامين في الجانب العسكري بكل ما في الكتاين من خلاصة فكريخص الجوانب العسكرية المختلفة كالحيل والنصائح

وطرق للتعبئة، وغيرها، إلى جانب التنبيه إلى ضرورة العودة للدراسات المقارنة للتعرف على مختلف الأفكار. ومعرفة بعض جوانب التعبئة العسكرية، ومدى أهميتها.

ومن التساؤلات الخاصة التي نطرحها حول الموضوع:

ماهي التعبئة العسكرية؟ وما مدى اهتمام القدماء بها؟.

من هو الهرثمي ، وماذا تناول في كتابه فيما يخص المبادئ الحربية؟.

من هو الهروي، وماهي محتويات كتابه؟.

ماهي أوجه الشبه والاختلاف حول المبادئ العسكرية عموما والتعبئة خصوصا؟ وهل تأثر

الهروي بالهرثمي ؟.

2. التعريف بالتعبئة العسكرية وأهميتها:

التعبئة أسلوب عسكري قديم استعمل بطرق مختلفة، كتهيئة للقتال الفعلي قال

تعالى: "وإذ غدوت من اهلك تبوء المومنين مقاعد للقتال والله سميع عليم"[سورة آل

عمران، الآية 121] ، فالمقاعد هنا هي مواقع وأماكن اجتماع الجيش عند استعداد

للحرب (محمد أبو العباس الإدريسي الشاذلي، 2002، صفحة 494)، وتكون التعبئة

حسب ظروف الموقعة (محمد الشنقيطي، 1995، صفحة 106)، والأصل في التعبئة

والتهيئة أن تكون عند الخروج من خلال ما ذكره أبو حفص الحنبلي في تفسيره للآية

الكريمة من خلال كلمة الغدو (ابن النديم، 1978، صفحة 505)، وللتعبئة أهمية كبرى

كونها "عملية تنظيمية" (محمد سليمان عواد، 1987، صفحة 216) مهما كان نوعها،

وتعد التعبئة أيضا تطبيق فعلي للسوق العسكري، حيث يكون هناك مزج بين العنصر

البشري بالعنصر المادي- أي السلاح- إلى جانب الاستخدام الجيد لأدوات الحرب والأرض،

ويُدخل بعض العسكريين المناورات الصغيرة التي تكون في أرض المعركة ضمن التعبئة،

وصولاً إلى السوق العسكري الكبير التي رسمت الخطة العسكرية لإحراز الهدف وهو النصر

(أبو منيار القذافي، 1980، صفحة 70)، كان العرب يسمون تنظيم الجيش تعبئة، فكلمة

تعبئة عندهم مساوية لكلمة نظم، رغم أن التقسيم في المصطلح حديث (السامرائي، 1983، ص7)

وقد اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بالتعبئة العسكرية اهتماما كبيرا، وتبعه في ذلك الخلفاء الراشدون، وعرفت الأمم القديمة التعبئة أيضا (محمد سليمان عواد، 1987، صفحة 251/215).

1.2 التعريف بالهرثمي وكتابه:

1.1.2. التعريف بالهرثمي:

هو أبو سعيد الشعرائي الهرثمي، من الواضح أنه كان مقربا من المأمون (ابن النديم، 1978، صفحة 436)، لأنه كتب صاحب المأمون مع عنوان الكتاب ، أو بالأحرى كما هو في عنوان المخطوطة الأصلية (الهرثمي، دت، صفحة 7)، عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري (سويد، 1990، صفحة 158)، يذكر الباحث شيت خطاب أنه عاش إلى ما بعد سنة 243هـ (محمود، 1998، ص48)، ويعدده الباحث ياسين سويد من أوائل المفكرين المسلمين المهتمين بفن الحرب، إلى جانب عدد من المفكرين كالشيباني محمد بن الحسن، و الماوردي أبو الحسن علي، والطرسوسي، وابن القيم الجوزية وغيرهم (سويد، 1990، صفحة 141).

لا يوجد بالمصادر ذكر للهرثمي، ويذكر عون في هذا الصدد أيضا: " وليس بالمراجع التي رجعت إليها من كتب التراجم وغيرها، شيء عن ترجمة هذا المؤلف، ولكن يبدو أن الهرثمي هذا قد يكون منسوباً بالولاء إلى هرثمة بن أعين الذي وُلِّي سنة 178هـ (الصفدي ، 2003م، ج1، ص91)، الذي كان أبرز قادة الرشيد العباسي، والذي استعان به على إخضاع الثائرين ببلاد المغرب، فلما ظهر نجاحه بها ولاه عليها، ثم ولاه بعدها على خرسان، فأقام بها حتى كانت الفتنة بين الأخوين المأمون والأمين، فكان قائد جيوش الأول، ثم عاش إلى ما بعد سنة 234هـ، خلال حكم الخليفة المتوكل...فمن الجائز أن يكون الهرثمي أحد أبناء هرثمة، وفي فترة حكم المتوكل ذكر في أحد المصادر أن المتوكل كتب إلى هرثمة في

جمادى الآخرة من تلك السنة يأمره بترك الجدل في القرآن الكريم (خليفة ، 1996 ، ص67). وربما يكون أحد الأتباع من الموالي الذي نسب إليه بالولاء" (سويد، 1990، صفحة 9).

2.1.2. التعريف بكتاب مختصر سياسة الحروب :

هو كتاب كان عبارة عن مخطوطة حققها الباحث عبد الرؤوف عون، وكانت نسخة واحدة حصل عليها من معهد إحياء المخطوطات بالجامعة العربية من مكتبة كوبريللي بالأستانة، وهي مصورة على مكروفيلم برقم 844، يقول عبد الرؤوف عون أنه عندما صح عزمه في تحقيق المخطوطة ونشرها لتعم الفائدة، أخذ يبحث عن نسخ أخرى لها في جهات كثيرة كبحثه في الكتب، ومنها كتاب كارل بروكلمان الخاص بالفهارس المجموعة لكل المخطوطات، واتصل بالعديد من أصدقائه ومعارفه المهتمين بالمخطوط ليعرف هل توجد نسخة أخرى فلم يجد و سبب تحقيق عون للمخطوطة هو رغبته في أن يستفيد الناس منها، وهذا ما ذكره في مقدمة تحقيق الكتاب (سويد، 1990، صفحة 5)، وهي مكتوبة بخط الناسخ بالمداد الأسود الجيد، في سبع وخمسين ورقة لا جداول فيها تحيط بها، وأبوابه مكتوبة بالمداد المذهب وكتب على الورقة الأولى داخل جدول مزخرف عبارة "كتاب مختصر سياسة الحروب للهرثمي صاحب المأمون" كما كتب عليها بعض عبارات تملك أخرى تشير إلى من تداولوا هذا المخطوط، ففي أعلى الصفحة كتبت عبارة " للعبد الفقير إلى الله تعالى، متبوعة بتوقيع غير واضح ، كما كتبت على هامش الصفحة عبارة الحمد لله وحده، وعبارات أخرى في أسفل الصفحة (سويد، 1990، صفحة 8/7).

كتاب مختصر سياسة الحروب هو مختصر من كتاب كبير عنوانه الحيل في الحروب، ألفه الهرثمي الشعراني للخليفة المأمون العباسي، وقد تحدث ابن النديم في كتابه الفهرست عن هذا الكتاب بعنوان الكتب المؤلفة في الفروسية وحمل السلاح، وآلات الحرب والتدبير والعمل بذلك لجميع الأمم، فقال أن الهرثمي الشعراني "كتاب الحيل للهرثمي الشعراني، ألفه للمأمون في الحروب، جود في تأليفه، وجعله مقاليتين: المقالة الأولى

ثلاثة أجزاء، المقالة الثانية ستة وثلاثون فصلا، ألف وخمسة وعشرون بابا، الجزء الأول عشرون بابا يحتوي على مائتين وأربع وستين مسألة، والجزء الثاني سبعة أبواب يحتوي على اثنين وأربعين مسألة، الجزء الثالث أربعة وعشرون بابا يحتوي على مائة وأربع وأربعين مسألة " (ابن النديم، 1978، صفحة 436).

ومن خلال ما ذكره ابن النديم وما حققه عون نجد أن كتاب الحيل غير موجود، و يذكر عون أنه ربما أتلّف بقوله: " ويبدو أنه فقد فيما فقد من الكتب أيام نكبة بغداد بالغزو التتري المعروف، كما استبان لي أن الشخص الذي اختصر لنا هذا الكتاب من كتاب الحيل شخص غير الهرثمي المؤلف، عاش قبل أواخر القرن الرابع الهجري، حيث صاحب الفهرست الذي تحدث عنه" ، وقد اعتمد عون على عدد من الأدلة منها عدد الأبواب، وبعض العناوين المختلفة (الهرثمي، دت، صفحة 6)، ويوافقه الرأي العميد الركن الباحث ياسين سويد (سويد، 1990، صفحة 158).

2.2. التعريف بالهروي وكتابه:

هو علي بن أبي بكر بن علي الهروي أبو الحسن، أصله من هراة بالفتح، وهي مدينة عظيمة مشهورة من أهم مدن خراسان، يذكر الحموي أنه لم يرف في خراسان سنة 670م أجمل ولا أعظم ولا أفخم ولا أحسن ولا أثر أهلا من مدينة هراة، فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة ، وخيرات كثيرة، عامرة بالعلماء، ومملوءة بأهل الفضل والثراء، خربها التاتاري عام 681م، قيل أن من بناها وحصنها الإسكندر وهو في طريقه إلى الصين (الحموي، دت، صفحة 396)) ، ولد في الموصل بفتح الميم وكسر الصاد، وهي مدينة مشهورة، ومن القواعد الهامة في البلاد الإسلامية، لا تشبهها مدينة أخرى، كثيرة الخلق، واسعة الرقعة، محط رحال الركبان، وهي باب العراق، ومنها تُقصد جميع البلدان، كخراسان وأذربيجان، وغيرهما، وسميت بالموصل لأنها وصلت بين بلاد الجزيرة والعراق (الزمخشري، 1999، ص321) ، وبين نهري دجلة والفرات، وبين بلد سنجار والديثة (الحموي، دت، صفحة 223) على ما ذكره الذهبي (الذهبي، 1987، صفحة 82)، والهروي رحالة ومؤرخ، ويذكر

ابن خلكان أنه من الموصل، نزل حلب، وطاف كثيرا من البلدان يقول ابن خلكان: "طاف البلاد وأكثر من الزيارات، وكاد يطبق الأرض بالدوران لأنه لم يترك برا، ولا بحرا، ولا سهلا، ولا جبلا من الأماكن التي يمكن قصدها ورؤيتها إلا رآه، ولم يصل موضع إلا كتب خطه في حائطه، ولقد شاهدت ذلك في البلاد التي رأيتها مع كثرتها، ولما سار ذكره بذلك، واشتهر به ضُرب به المثل فيه" (ابن خلكان، 1968، صفحة 254).

من كتبه الإشارات إلى معرفة الزيارات، ورحلة أبي الحسن، ومنازل الأرض ذات الطول والعرض، وزيارات الشام، وكتاب الأصول، ومعيار الزمان في معايشة الإخوان، والخطب الهروية (الهروي، 1972، صفحة 24/17).

اشتهر بلقب السائح الهروي (العسقلاني، دت، صفحة 671)، وأضاف الذهبي أنه كان زاهدا (الذهبي، 1987، صفحة 81) وأن له رباطا بحلب، وكان يعرف بسحر السيمياء (سحر السيمياء هو سحر حاصله إحداث مثلات خيالية لا وجود لها في الحس. أنظر: - إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر (النجار، دت، صفحة 469))، وله مكانة عند صاحب حلب الظاهر، الذي بنا له مدرسة، وقد دفن في قبة تلك المدرسة في شهر رمضان (العسقلاني، دت، صفحة 82)، وينقل أيضا الذهبي عن ابن واصل أنه قال: "كان عارفا بأنواع الحيل، ألف خطبا وقدمها للناصر لدين الله، فوقع له بالحسبة في سائر البلاد، فبقي له شرف بهذا التوقيع معه، ولم يباشر شيئا من ذلك"، وله مزارات ومشاهد، كما أنه دخل إلى جزائر الفرنج حتى كاد يُؤسر (الذهبي، سير أعلام النبلاء، دت، صفحة 59).

كتاب التذكرة الهروية هو كتاب هام جدا كان عبارة عن مخطوطة حققها الباحث مطيع مرابط، ويحتوي الكتاب على أربع وعشرين بابا، منها ما له علاقة بالجانب السياسي وأخرى بالجانب العسكري وهي الغالبة.

فبداية يبدأ بما يجب على السلطان معرفته، كما يتطرق إلى صفة الوزراء والحجاب، وأمر الولاة والقضاة، وأمر العمال وأرباب الدواوين، ثم فيمن يجالس

السلطان، وباب في كشف بواطن أرباب الدولة، وباب في المشورة ، وباب في صفة الرسول والذي يأتيه وحليته، وحال الجواسيس وأصحاب الأخبار، وباب في جمع المال والذخائر وآلة الحرب، واستمالة قلوب الرعية والرجال الحربية، وهنا يبدأ الشق المتعلق بالحروب فيستكمل بقاء العدو، وصفة المنازل ومكائد الحروب، وكتمان السر، وإنفاذ السرية، والتيقظ والاحتراس من العدو، وباب في إتباع الحق في المقاصد، وتحريض الرجال على الحرب، وباب في ضرب المصاف ومكائد الحروب، وقتال الحصون وحصارها، والمكائد، وباب في استعمال الحلم بعد القدرة والمثابرة على الذكر الجميل ، وباب في الحيلة إذا حاصر العدو، وأخر باب في العمل بالحزم .

3. المقارنة بين الآراء الفكرية للمؤلفين في القضايا العسكرية العامة:

ركز الهروي على الجانب السياسي قبل الجانب العسكري فقد تناول في الأبواب الثمانية الأولى-كما ذكرنا -أمورا تتعلق بالجانب السياسي تتمثل في ما يجب على السلطان معرفته، وصفة الوزراء، والحجاب، وتكلم عن أمور تخص الولاية، والعمال وأرباب الدولة، وتطرق أيضا إلى من يجالس السلطان، وله باب في كشف بواطن أرباب الدولة، ثم تطرق إلى الجانب العسكري فبدأ بالمشورة ولو أنها تتعلق بالجانبين، ثم الجواسيس والرسل، وآلة الحرب ولقاء العدو، وبعض الأمور التي تتعلق بالتعبئة والقتال كقتال الحصون وحصارها، وأفرد أبوابا لاستعمال الحيل والحلم (الهروي، 1972، صفحة 136/137).

ولا يعد التطرق إلى الجانب السياسي خطأ، أو نقصا ، بل هو مهم كون القائد هو المدبر والمخطط لكل شيء، والقيادة هي من تدفع الأفراد لتحقيق الأهداف (عبد السلام بوشارب؛، 1995، صفحة 13)، والرئيس ضرورة لكونه مُنظم (الرشيد، 1997، صفحة 12) وهو ضمن التنظيم إذ لم تعرف حرب دون قائد، ضف إلى ذلك أن توزيع الجهود ومعرفة السلطان لمن يحيط به، مع إثارة الرغبة في العمل للمحيطين للمضي نحو تحقيق الأهداف هو هدف قيادي (حسبن علي أحمد؛، 2009، صفحة 125)، وهذا ما كان يريده الهروي من ذكر أمور تتعلق بالسلطان في شكل نصائح.

أما الهريثي والذي يعد عصره أسبق من عصر الهروي، فقد ركز على الجانب العسكري بالدرجة الأولى، فكانت جميع الأبواب خاصة بهذا الجانب، وكان منهجي الطرح فقد بدأ بالجانب الروحي فركز على تقوى الله بداية، ثم ذكر أموراً تتعلق بالرئيس ويقصد به القائد، إذ تناول حسن سياسته وفضائله، ثم نبه إلى أمور ضرورية كالحذر وسوء الظن، والأناة والرفق والاستشارة، وحفظ السر، ثم انتقل إلى أمور عملية كالاستشارة، وأمور التعبئة العسكرية في المسير والمقام، مع الحذر، وقد ذكر أموراً كثيرة جداً عن التعبئة، وأمور أخرى وجب على القادة الانتباه إليها (الهريثي، دت، صفحة 13/12).

تشابه كل من الهروي و الهريثي في بعض الأمور الهامة كحفظ السر فكلاهما أفرد باباً له، إلى جانب المشورة، والاحتراس والحذر، وقتال الحصون، الأمر الذي يدل على أهميتهم العسكرية، ففي الشورى قال تعالى: "وشاورهم في الأمر، فإذا عزم فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين" [سورة آل عمران، الآية 159]، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في تطبيق الشورى، إذ كان أكثر الناس مشورة لأصحابه، ومن أمثلة ذلك مشاورته لأصحابه في قضية أسرى بدر، ومشاورتهم في الخروج لقتال المشركين يوم أحد (الترمذي، دت، صفحة 213)، وفي الحذر قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا حذروا حذرکم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً" [سورة النساء، الآية 71]

اتفق كل من الهروي والهريثي على أن لا يقال السر أبداً، والهدف أن لا تنقل الأخبار إلى العدو (الهريثي، دت، صفحة 22)، ومم اتفقا عليه أيضاً في قتال الحصون أن يختار المكان الأضعف من الحصن (الهروي، 1972، صفحة 102)، وأن تختار الآلات المناسبة لقتال الحصون كالسلاالم، والتي تعد من آلات الحصار التي تساعد المحاصر على اعتلاء أسوار الحصن، بداية اتخذت من الجبال، ثم أصبحت من الخشب والحديد، وهي مرتفعة جداً (عون، 1961، صفحة 173/174)، والكلايب (الهروي، 1972، صفحة 105) وغيرها (الهريثي، دت، صفحة 59).

إن الاختلاف بينهما لا يعني أن الهروي تناسى الحديث عن التعبئة بتفصيلاتها، أو أن شكلها اختلف من عصر الهرثمي، إلى عصر الهروي بل لاعتبارات عديدة منها أن الهروي ركز على جانبين، أما الهرثمي فركز على جانب واحد.

ومن الأمور التي تشابه فيها الهرثمي والهروي أيضا القضايا التي تتعلق بالحيل، كقضية المبيت عند الهرثمي وأن يكون في الليلة الظلماء، وليلة ربح، وأن ينزلوا بجانب واد له دوي وخير (الهرثمي، دت، صفحة 51).

4. المقارنة بين ما كتبه الهرثمي والهروي في التعبئة العسكرية:

1.4. أوجه التشابه بين الهرثمي والهروي في قضايا التعبئة العسكرية:

إن التشابه الكبير بين المصدرين كان في النصح والتنبيه، ويظهر ذلك من خلال المصطلحات المستعملة فالهروي مثلا يقول: "وإذا أراد لقاء العدو وضرب المصاف، فليجهد أن تكون الشمس في عين العدو..." (الهروي، 1972، صفحة 97)، ونجد نفس الأمر عند الهرثمي فيقول: "إجعل رجلا من أهل الصرامة في قوة أصحابك أمام عسكريك دون طلائعك..." (الهرثمي، دت، صفحة 29)، وكذلك في التحذير قال الهروي: "وليحذروا كثرة الصياح والغلبة والصراخ، فإن ذلك يؤدي إلى الفشل والضجر والملل والعجز والخور" (الهروي، 1972، صفحة 98)، ويقول الهرثمي محذرا أيضا: "احذروا أن يتضعضع الفرسان في أول حملة العدو..." (الهرثمي، دت، صفحة 45)، ولو أن مجالات التحذير مختلفة إلا أن التحذير والنصح كان في المصدرين، كأنما كان الغرض هو توجيه رسالة للقادة الرؤساء.

2.4. أوجه الاختلاف بين الهروي والهرثمي في أمور التعبئة العسكرية:

لم يذكر الهروي الكثير عن التعبئة، بل عدد حيلًا وأمورا ضرورية للحرب في كل كتابه، ونجد من الأمور العامة التي تميز بها الهرثمي في كتابه، والتي تختلف عما عند الهروي وغيره من المصادر أنه اعتمد كثيرا على أقوال أصحاب الخبرة العسكرية، وذلك بقوله "قالوا" ويقصد بالقائلين العسكريين من أهل الخبرة والتجربة الحربية، وقد تكررت

كلمة " قالوا" في أغلب صفحات الكتاب، ومن العبارات أيضا قوله- في الباب العاشر الخاص بالتعجيل للتعبئة: "كان أهل الحزم والتجربة يرون..."، وقوله: "ذكروا عن بعض أهل الحزم والتجربة..." (الهرثمي، دت، ص 26/26)، ومن خلال هذه العبارات نجد أن الهرثمي رغم أنه لم يذكر مصادره ، إلا أن تلك الأقوال تعني لقاءه بأهل الحرب المتمرسين، مما يُعطي كتابه أهمية كبيرة جدا في أمور الحرب وسيرها.

وما يميز الهرثمي أيضا هو تفصيله في الأمور الخاصة بالتعبئة بناء على آراء أهل التجربة والخبرة الحربية، بطريقة لا تشبه أي مصدر آخر، فنجد بعد البداية بالأمور الروحية والإيمانية، والأمور التنظيمية التي تتعلق بالقادة المحيطين به من أصحابه، يتطرق إلى التعبئة بذكر التعجيل بها خاصة عند اقتراب العدو لمسافة معينة ، ومن خلال المثال الذي ذكره نجده يعطي أهمية للتعبئة بالخنادق طول الطريق وصولا للعدو، وقد قسم الجيش إلى أقسام عند التعبئة كالقلب والميمنة والميسرة (الهرثمي، دت، ص26/25)، في حين أن الهروي لم يذكر شيئا عن تقسيم الجيش عند حديثه عن لقاء العدو ووصفة المنازل ، إذ ذكر أمورا تتعلق بالاستعداد العام واتخاذ الجواسيس، وكان قد ذكره في باب سابق، وذكر الأرض التي يكون فيها الجيش في بعض المواضع، وضرورة وجود الحرس، والمكائد (الهروي، 1972، صفحة 86/87)، لكنه لم يتحدث عن الأقسام الضرورية التي اتخذها المسلمون منذ القديم واتخذتها أيضا الشعوب الأخرى، والتي تعد تقاليد حربية ملازمة للجيش في الحروب، الأمر الذي يدل على أن الهرثمي أكثر خبرة وبصيرة بالحروب، أو أنه التقى كثيرا من القادة وأصحاب الخبرة الحربية.

فصل الهرثمي في قضايا تخص التعبئة منها تسمية أصول أجزاء الجيش، ويشير محقق الكتاب عبد الرؤوف عون أن عدم ذكر الهرثمي المقدمة والمؤخرة في أصول التعبئة دليل على أنها من الإضافات على الأجزاء الأصلية، ومما ذكر إلى جانب القلب والميمنة والميسرة وجود صنوف أو صفوف، ربما يقصد بها اختصاصات في الجيش وهي: "السرايا(السرايا جمع سرية، وهي جماعة تتكون من خمسة إلى ثلاثمائة فرد، وهي قطعة

من الجيش، وسميت بالسرية لأنها تسري ليلا وسرا، ويختارون في الغالب من أفضل الجند (ابن منظور، دت، صفحة 377))، والمُبْدِرَقَة (البدرقة من بدرق وهي الجماعة التي تتقدم القافلة لحراستها، وتمنع عنها العدو أيضا (ابن المطرز، 1979، صفحة 62)) ، والَطَّلَائِع (الطليعة هي مفرد طلائع وهي فرقة من الجيش يرسلون ليطلعوا على أخبار العدو ، وعدد من فيها يكون أقل من عدد أفراد السرية (ابن المطرز، 1979، صفحة 24))، والنوافض (هم الجند الذين ينفضون الطريق ، من عملهم أيضا التجسس، وعدم ترك أحد من الأعداء يدخل بلاد المسلمين (ابن منظور، دت، صفحة 486))، والديادبة (مفرد الكلمة ديدبان وجمعها ديادبة بمعنى حارس ورقيب على مرتفع، ولها عدة معان أخرى كالمفتش، ونوع من الدبابات وغيرها (دوزي، 2000، ج4، ص459)، وتقال للطليعة من الجيش أيضا ، وهي كلمة فارسية معربة وأصلها ديدة بان (ابن منظور، دت، صفحة 396)) ، والرَّيَايا (الربايا وتقال عن قوم يرسلون للتجسس (الأخفش الصغير، 1999، ج1، ص426) ، وتسمى الربيئة التي تطلق أيضا على الطليعة (ابن منظور، دت، صفحة 82))، والارصاد (وهو من يراقب العدو (الهرثي، دت، صفحة 26))، والمسالح (هم قوم من أهل الرصد ، معهم السلاح (ابن منظور، دت، صفحة 486))، والدَّرَاجَات (مفرداها دراجة وهي الدبابة، وسميت بذلك لأن الرجال يدخلون تحتها (ابن منظور، دت، صفحة 266)) ، والعُساس (من العسس وهم الأفراد كثيرو العس. والعاس الواحد من يطوف في الليل ليحرس الناس، ويكشف أهل الريبة (النجار، دت، صفحة 600))، والجواسيس، والمصَّاف (جمع صف)، والساقَة (الساقَة هم قسم من الجيش يسوقه ويكون في آخره لحفظه (النجار، دت، صفحة 464))، و المرتبة (المرتبة هم الجماعة التي تكلف بمراقبة العدو من فوق الرتب، وهو مرتفع من الأرض (الهرثي، دت، صفحة 27))، والمقدمة (مقدمة بكسر الدال وتجاوز بفتح الدال، وهم الفرقة التي تتقدم الجيش (ابن منظور، دت، صفحة 465))، والردء (هم العون أو الجماعة التي يستعان بها، والكمين، والمدد، والخيل المرتفعة (المقصود بها الفرسان الذين يقفون للحراسة في مناطق متباعدة ،

والخيل الممددة(هم الفرسان والخيل المهيأة لطلب المدد (الهرثمي، دت، صفحة 27))،
والخيل المانعة، والخيل المُنتَبِذَة(المنتبذة أو المنتبذ بمعنى المتنحى أو المتنحية، وتعني المنابذة
أحيانا الرمي بالحجر (ابن منظور، دت، صفحة 511))، والخيل المقوية، والخيل
المُتْرَخِيَة(التراخي التقاعد عن الشيء، بمعنى أنها عكس المقوية التي تستعمل هي قاعدة
(ابن منظور، دت، صفحة 314))، والخيل المُحْتَسِبَة(التي احتسبها أهلها للجهاد في سبيل
الله، والخيل الرابطة(الرابطة من الربط، أي ربطت في مكان معين، ويقال دابة ربيطُ
ومربوطة ومربط والمرابطة والرباط تعني ملازمة ثغر العدو، والأصل أن يربط طرفي الحرب
خيلهم (ابن منظور، دت، صفحة 307))... وخيل المقدمة" (الهرثمي، دت، صفحة 27/26).
ونجد أن اهتمام الهرثمي بالخيل وأنواعها نابع من اهتمام العربي عموما بها إلى جانب
الجمال، وقد استخدمت خاصة للحروب (الملاح، 1971، ص24).

إن تفصيل الهرثمي لملاحظات الجيش وأجزائه لا يكاد الباحث يجد له شبيها في كتب
التاريخ لعام، أو الكتب الخاصة بالتاريخ العسكري، وليس التقسيم فقط ما ذكره الهرثمي،
بل أكد على وجوب معرفة القائد لكل صنف قائلا: "وينبغي أن يعرف كل صنف من هذه
الثلاثين صنفا، ومواضعها التي توضع بها، ووجوهها التي تنفذ فيها، وأعمالها التي تندب لها
على حسب الحاجة إلى ذلك وألا مكان فيه..." . ويذكر الهرثمي في الباب الثاني عشر أيضا
تسمية الجيوش وما دونهم وعددهم (الهرثمي، دت، ص 28/27)، وهذا أيضا أمر لا يوجد
في المصادر الأخرى.

ويذكر في الباب الثالث عشر أمورا هامة تتعلق بالتعبئة الخاصة بالمسير، وتعد
كتعليمات عسكرية هامة ومن بعض جاء فيها: "إذا أردت الرحيل من منزل إلى منزل، فقدم
بعض طلائعك، ونوافضك، وصاحب مقدمتك، ومُرْ بعض من توجه من الطلائع أن
ينصرف إليك من المنزل يتلقاتك بنزول صاحب مقدمتك، ولا تتمم إلى المنزل حتى يتلقاتك
بذلك، ومر بعضهم يتجاوز المنزل إلى حيث رأيت، أن يكون منصرفهم بخبرهم إليه"،
وليست هذه الفقرة فقط تفيد النصح في تعبئة السير بل هناك تعليمات أخرى تخص من

يكون أمام العسكر من الفعلية، وتناول أيضا من يكون خلف الساقة حاشرا للجند، إلى جانب ضرورة التأكد من السلاح، وكل هذا ليسير الجند على تعبئة (الهرثي، دت، صفحة 29).

ويشير الهرثي أيضا إلى موضوع هام من شأنه تشتيت قوى الجيش وهو الخوف، فأفرد بابا سماه "التعبئة عند وقوع الخوف في المسير"، وذكر فيه كل الحالات التي تخص مواضع الخوف سواء كان في الميمنة أو الميسرة، أو القلب، أو خوفا في صفوف كل العسكر، وتكلم الهرثي أيضا على الحذر عند النزول والمقام، وأكد على بقاء الجيش في تعبئة، مع معرفة الأرض وتقدم الطلائع، و أكد على الحراسة، والخنادق، والحسك وغيرها (الهرثي، دت، صفحة 32/31). نجد أن الهرثي متشبع بالثقافة الحربية الإسلامية، وأيضا متمرس في الأفكار الحربية الناتجة عن الخبرات الحربية، فمن ناحية الاهتمام بالمقام والنزول عند القتال قال الله تعالى: "وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم" [سورة آل عمران، الآية 121].

وكتب الهرثي أيضا بابا في اختيار موضع اللقاء في الحرب، ومن أهم ما جاء فيه أن لا تكون الشمس والرياح وراء الجند (الهرثي، دت، صفحة 33)؛ ومن خلال هذا نجد أن الهرثي اهتم كثيرا بمقاعد القتال مصدقا للآية الكريمة، ويبدو أن هذا الاهتمام نابع من فكرة الأمن العسكري للفرد الجندي المسلم، فهو بهذه النصيحة يحفظ الجندي، ويجعله مرتاحا، وهذه نفسها نظرة الإسلام للأمن الخاص بالمجندين فقد أشار لذلك الباحث إسماعيل عبد الفتاح في كتابه أخلاقيات الحرب إذ ذكر أن نظرة الإسلام للأمن هي نظرة متكاملة لحاجة الفرد والجماعة له، وأن فكرة الأمن هي من القرآن الكريم، وتضمن السلامة والاطمئنان النفسي، وانتفاء الخوف عن الجندي، وتساعد هذه الأمور في تحقيق مصالحه وخطته (إسماعيل، 2011، ص192).

ومن الأمور الهامة أيضا ذكره لأشكال الصفوف عند اللقاء ومنها الصف المستوي، والذي قال عنه أنه المستحب، والصف الهلالي، والمعطوف، وذكر أمورًا تتعلق بكل صف

(الهريشي، دت، صفحة 35/34)، ونجد أن قوله مستحب لأنه الأفضل فعلا لقول الله تعالى: "إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص" [سورة الصف، الآية 4]، ويشير ابن خلدون إلى أهمية قتال الصف لأنه أشد وأصدق في القتال وأرهب للعدو (ابن خلدون، 2004، صفحة 258). ويقصد بالصف المستوي أو المستقيم ما يكون فيه الجناحان والقلب على خط مستقيم، وتبقى الساقة والمصاف في الخلف، وهو أوثق الصفوف وأكثرها استعمالا في المعارك (السامرائي، 1983، ص 11)

تناول الهريشي أيضا تعبئة العدد القليل للحرب، وهذا الموضوع يؤكد فعلا أن الهريشي كان عارفا بأمر الحرب ومستلزماتها، وأنه التقى فعلا بأهل الخبرة الحربية، ولم ينس الهريشي تعبئة الزحف النهائي للجيش، والتي سماها "الزحف الأعظم"، وتطرق إلى مواضع الفرسان في التعبئة، ومواضع كل من في الجيش رجالة وركبانا، وحتى الخيل أفرد لمواضعها بابا، وتطرق أيضا إلى كل ما يتعلق بالزحف، كالزحف عند لقاء العدو، لقاء زحفين، والطريقة الملائمة عند استعلاء العدو في الزحف، ومن الأمور الهامة في التعبئة التي يتطرق لها الهريشي قضايا المبيت وقضايا أخرى كثيرة (الهريشي، دت، ص 35-51)، لم يذكرها الهروي أو يشير إليها.

5. خاتمة:

بعد البحث خرجت بالنتائج التالية:

- مقارنة للمصدرين لا تعني أنه بالضرورة يكون هناك تشابه كبير، أو نقصا في أحدهما فلكل منهما فكر خاص.

- كلاهما اهتم بالتحذير مما يؤكد أن الحذر مبدأ عسكري هام، ونفس الأمر بالنسبة للشورى والتعبئة.

- نجد تأثراً بالفكر الإسلامي خاصة في جانب الأمن العسكري للأفراد ضمن جماعاتهم، مم يدل على تشرب الثقافة الإسلامية، وحسن الاطلاع إلى جانب الخبرة الميدانية العسكرية، أو اللقاء بأهل الخبرة.

- مع أن الهروي سعى كتابه الحيل الهروية إلا أنه لم يتناول الكثير من الحيل، بل هي مبادئ حربية.

- فعلا كتاب الهرثمي كان فيه أمور تهم سياسة الحروب، ومن الواضح أنه كان ذكياً في استعمال العنوان فقد ذكر مختصر مما يدل على أن الحرب كما ذكر في بداية كتابه لا تسعها الكتب.

- إن للمصادر أهمية كبرى في معرفة الفكر القتالي الذي كان سائداً في فترة كلا المؤلفين، وذلك الفكر لا بد وأنه كان مستمداً من الأفكار التي سبقته، لأن زمننا من التاريخ هو عبارة عن تجربة، وبالتالي فإن كل هذا يشكل وبلور العقيدة العسكرية الإسلامية بصفة خاصة ثم العامة.

- لم أجد أي تأثير من الهروي بالهرثمي في أي جانب مم يدل على تأثير بيئة الحروب على الشخصيتين وفكرهما، استعمالهما لأرائهما الخاصة.

- إن التركيز على المصادر الأصيلة يفضل أن يكون ضمن البحوث الأكاديمية، لاكتشاف المزيد حول العقيدة العسكرية الإسلامية.

6. قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم
2. محمد شمس الدين الذهبي. (1987). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، (الإصدار 44، المجلد 1). بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي.
3. ابن حجر العسقلاني. (دت). تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، (الإصدار 2). بيروت، لبنان: المكتبة العلمية.
4. ابن خلدون. (2004). المقدمة. بيروت، لبنان: دار الفكر.
5. أحمد بن محمد أبو العباس الإدريسي الشاذلي. (2002). البحر المديد، (الإصدار 1، المجلد 2). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ب.

6. الحسن بن أبي محمد الصفدي . (2003م). نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك (المجلد 1). بيروت، لبنان: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.
7. السامرائي. (1983). التعبئة العسكرية عند العرب. مجلة المورد، 12 (4).
8. الهرثمي. (دت). مختصر سياسة الحروب. القاهرة، مصر: المؤسسة المصرية العامة.
9. ابن منظور. (دت). لسان العرب (الإصدار 1.2.3...14، المجلد 1). بيروت، لبنان: دار صادر.
10. حسين علي أحمد. (2009). القيادة في الفكر الإسلامي. مجلة التربية والتعليم، 3.
11. رينهارت بيتر آن دوزي. (2000). تكملة المعاجم العربية. (1، المحرر) العراق: وزارة الثقافة والإعلام.
12. شمس الدين أحمد بن خلكان. (1968). وفيات الأعيان (الإصدار 4). دار الثقافة.
13. شيت خطاب محمود. (1998). بين العقيدة والقيادة (الإصدار 1). بيروت، لبنان / دمشق، سوريا: الدار الشامية ودار القلم.
14. عبد الرؤوف عون. (1961). الفن الحربي في صدر الإسلام، . مصر: دار المعارف.
15. عبد السلام بوشارب. (1995). الإفادة في اختيار القادة. الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، طبع المؤسسة الوطنية.
16. عبد الفتاح عبد الكافي إسماعيل. (2011). أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية الشريفة (الإصدار 1). القاهرة، مصر: د د.
17. عبد الله محمد الرشيد. (1997). القيادة العسكرية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، طبعة 2، (المجلد 2). الرياض: شركة الرياض للنشر والتوزيع.
18. علي بن أبي بكر الهروي. (1972). التذكرة الهروية في الحيل الحربية. دمشق، سوريا: منشورات وزارة الثقافة.
19. محمد النجار. (دت). المعجم الوسيط (الإصدار 1). دار الدعوة، مجمع اللغة العربية.
20. محمد الأمين بن محمد الشنقيطي. (1995). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، (الإصدار 8). بيروت، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر.

21. محمد بن إسحاق أبو الفرج ابن النديم. (1978). *الفهرست* (الإصدار 5، المجلد 1). بيروت، لبنان: دار المعرفة.
22. محمد بن عيسى الترمذي. (دت). *الجامع الصحيح - سنن الترمذي*. (أحمد محمد شاكر، المحرر) بيروت، لبنان، لبنان: دار إحياء التراث العربي.
23. محمد شمس الدين الذهبي. (دت). *سير أعلام النبلاء* (الإصدار 42). بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.
24. محمد عبد اللطيف ومجموعة من الباحثين خليفة . (1996). *علم النفس في التراث الإسلامي* (المجلد 1). القاهرة، مصر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
25. محمود أحمد محمد سليمان عواد. (1987). *الجيش والقتال في صدر الإسلام* (المجلد 1). الزرقاء، الأردن: مكتبة المنار.
26. محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري. (1999). *الجبال والأمكنة والمياه*. القاهرة، مصر: دار الفضيلة.
27. معمر أبو منيار القذافي. (1980). *آراء جديدة في السوق والتعبئة ومبادئ الحرب*. ليبيا: منشورات النشأة الشعبية.
28. ناصر الدين أبو الفتح ابن المطرز. (1979). *المغرب في ترتيب المغرب* (الإصدار 1، المجلد 1). (محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، المحرر) حلب، سوريا: مكتبة أسامة بن زيد.
29. هشام يحي الملاح. (1971) بيروت، لبنان). *الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام*. دار الكتب العلمية.
30. ياسين سويد. (1990). *الفن العسكري الإسلامي - أصوله ومصادره، طبعة 2،* (المجلد 2). بيروت، لبنان: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.
31. ياقوت الحموي. (دت). *معجم البلدان* (الإصدار 5). بيروت: دار الفكر.